

استراتيجية التصحيح الثقافي والمعرفي ودوره في تحقيق التنمية المستدامة

د. علا علي محمد الحوثي

أستاذ مساعد، جامعة صنعاء.

المقدمة

يُعدُّ موضوع التنمية البشرية من الموضوعات الحديثة، والتي اكتسبت أهمية كبيرة في العقود الأخيرة من القرن العشرين وحتى الآن، حيث تكتسب التنمية البشرية المستدامة أهمية كبيرة على الصعيد العالمي، وقد ظهر ذلك جلياً منذ بداية التسعينيات عندما أصدر برنامج الأمم المتحدة الإنمائي تقريره الأول حول التنمية البشرية في العام 1990م.

ويمكن قياس مستوى التنمية في أي بلد من خلال مجموعة من المؤشرات، ومنها مؤشرات التعليم ومدى انتشار المعرفة، ودورها في بناء تنمية بشرية مستدامة، إلا أن ما يمكن ملاحظته هو تدهور مستوى التنمية في الدول الإسلامية قياساً بالدول الغربية، وهذا المؤشر يجعل من هذه الدراسة تتجه إلى الجذر الرئيس، والأساس المهم للتنمية والمتمثل في المعرفة.

إذ تُعدُّ المعرفة عماد التنمية وبوابة العبور إلى مستويات التقدم الحضاري التي تنشدها البلدان، حيث تنعكس على تطور الاقتصاد والسياسة والمجتمع بأسره، وعلى كافة جوانب النشاط الإنساني، ولقد لعبت المعرفة على مرّ العصور دوراً مهماً في صعود الأمم وهبوطها، وصياغة توجهات الحاضر والمستقبل.

ومما لا شك فيه أنّ هذه المعرفة مرتبطة بالتنوع والتعدّد الحاصل في حياة البشرية واختصاصاتها، وهذا التنوع سيكون إيجابياً عندما يُبنى على أسس معرفية سليمة، ويوظّف التوظيف السليم، وبناء على ذلك سيسهم في بناء الأمة الإسلامية، وعمارّة الحياة زراعياً، وصناعياً وعلمياً، وثقافياً، كما أن هذا التنوع يحتاج إلى ضبط بالشكل الذي يبني أمة متفكّة تنطلق انطلاقاً واحدة دون اختلاف.

وهنا يمكننا القول أن بناء الأمة معرفياً يأتي ضمن اختصاصات، ومهام، وأدوار كلها تحتاج إلى التصحيح الثقافي والمعرفي لما له من دور مهم في تحقيق تنمية بشرية مستدامة .

إننا عندما نستقرئ الواقع نجد أن التشخيص الحقيقي له ينبئ عن وجود مشكلة تعاني منها الأمة الإسلامية، والتي أفرزت هذا الواقع السيء الذي تعيشه، وهذه المشكلة معرفية ثقافية في الأساس، وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالثقافة المغلوطة، والانحرافات الفكرية التي تشبعت بها الأمة جيلاً بعد جيل.

ويمكننا القول أن واقع الأمة الإسلامية اليوم ينبئ عن وجود أزمة معرفية متجذرة كانت السبب الرئيس في تدني مستوى التنمية البشرية للأمة العربية، وقد أشار إلى ذلك أحد أساتذة الفلسفة الكنديين، إذ يقول: "إن أزمة العالم العربي هي أزمة مفاهيمية **conceptual crisis** بامتياز"⁽¹⁾، وهو إذ يركز على هذه الأزمة ينطلق من مناقشته لثقافة السخافة والتسطيح - بحسب تعبيره- على كل المستويات، وإسباغ نظام يسميه (**نظام التفاهة**) على كل شيء، ويبين أن خطورة هذا الأمر يكمن في كون هذا النظام مهمة سهلة التحقق بسلاسة، إذ يُعدُّ السبب الرئيس للأزمة المعرفية التي سيطرت على الأمة العربية، ومن هذه الخطورة المتجلية يدعو إلى تفعيل التفكير النقدي، بعد أن أدرك غياب العقل النقدي وانتشار ثقافة التسطيح التي سببت الفوضى الاجتماعية.

إن هذه الأزمة المعرفية ستكون منطلقاً لهذه الدراسة، ومن خلالها تتشكل التساؤلات الآتية:

- 1- ما سبب تدهور التنمية في الدول الإسلامية؟
 - 2- ما علاقة التصحيح الثقافي والمعرفي بالتنمية المستدامة؟
 - 3- ما دور التصحيح الثقافي والمعرفي في تحقيق التنمية الشاملة؟
- هذه التساؤلات تمثل مشكلة الدراسة، وللإجابة عليها كان حرياً على الباحثة وضع قراءة جذرية للأسباب، ثم تقديم الحلول والمعالجات.

- أهمية الدراسة:

ترتكز أهمية الدراسة على توضيح العلاقة بين المعرفة الثقافية من هدي القرآن، وبين بناء تنمية بشرية مستدامة حقيقية، لتمكين وتوسيع القدرات البشرية، وتقديم المجتمع الإسلامي في مجال التنمية المستدامة.

- فرضية الدراسة:

(1) الآن دونو، نظام التفاهة، تر: مشاعل الهاجري، دار سؤال للنشر، ط1، بيروت، 2020: 56

تنطلق الدراسة من فرضية مفادها أنّ هناك علاقة متبادلة ومتداخلة بين بناء المجتمع معرفياً وثقافياً على أطر الهدي القرآني، وبين تحقيق تنمية بشرية مستدامة حقيقية، فالتصحيح المعرفي والثقافي يتضمن دراسة أسباب الانحراف المعرفي وجذوره، ودوره في عدم تمكين المجتمعات على توسيع قدراتها وإمكاناتها على النهوض والتقدم .

- هيكل الدراسة:

تم تقسيم الدراسة إلى مبحثين: تناول المبحث الأول: التضييل المعرفي والفكري: حيث تناول أسباب الانحراف المعرفي والثقافي وتأثيره على التنمية البشرية المستدامة، في حين تناول المبحث الثاني: استراتيجية التصحيح المعرفي والثقافي .

-المبحث الأول: التضييل المعرفي والفكري.

تعدّ قضية التّئمّية البشريّة من القضايا المهمة كونها الأساس وقاعدة كل تنمية اقتصادية واجتماعية؛ لذا فقد زاد الاهتمام بهذه القضية مع ظهور تقارير التنمية البشريّة الصّادرة عن برنامج الأمم المتّحدة الإنمائي السنوي منذ عام 1990م؛ والذي كان من إحدى مقوماته اتّخاذ الديمقراطيّة أسلوباً ومنهجاً في الحياة، إلا أن المتأمل في هذه الرؤية الغربية لمقومات التنمية يجد أنها لا تتوافق ولا تنسجم مع ما يعيشه المجتمع الغربي من انتهاكات، وهناك للحقوق والحريات؛ ولذا غدا هذا المقوم مفرغاً من معناه ولا يحدو كونه إجراء نظرياً ومصطلحاً تستخدمه الأبحاث التي لا منهجية لها ولا رؤية تطابق الواقع، وهذا مما لا شك فيه يُعدّ واحداً من الإشكالات التي لا تتسق و مفهوم التنمية، حيث إن هذه الرؤية تندرج ضمن ما وسمناه بـ) التضييل المعرفي).

وهذا ما سنعالجه في هذا المبحث من خلال الإجابة عن إشكاليات مطروحة هي كالآتي:

- ما مفهوم التّئمّية في ظل التضييل المعرفي؟

وللإجابة عن هذا التساؤل استوجب أن نقدم تعريف التنمية لغةً واصطلاحاً.

• التّئمّية لغة: يقال نما المال وغيره ينمي نمياً ونماءً؛ أي: زاد وكثُر، فالنّماء

بمعنى الزيادة، وبالتالي التنمية لغة معناها: ارتفاع الشيء من موضعه إلى موضع آخر، وفي المال بمعنى زاد وكثر (2).

• أما اصطلاحاً: فقد اختلف المختصون والمفكرون حول مصطلح التنمية كل يعرفه حسب ميوله وأيديولوجيته، وقد وردت الكثير من التعريفات؛ فهناك من يرى أنّ التنمية بكل بساطة هي الانتقال من حالٍ إلى حالٍ أفضل، وانتقال المجتمع من وضعه الحالي إلى وضع أفضل بكل المقاييس (3).

أو هي عملية تهدف إلى إحداث تغيير حضاري في طريقة التفكير والسلوك (4).

وبهذا نجد أن هذه التعريفات تركز على النقلة النوعية والكمية من وضع لآخر أفضل منه، ولا تقتصر على مجال دون آخر، وإنما شاملة لجميع مجالات الحياة المختلفة: الاقتصادية، الاجتماعية، السياسية، الثقافية، البيئية والتقنية.

إننا نلاحظ أن أغلب الدراسات التي تخوض غمار الحديث عن التنمية تعتمد على رؤى وضعتها الأمم المتحدة، ومن ذلك هذه الرؤية الجديدة للتنمية التي أطلقها برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في تقرير التنمية البشرية للعام 1997م، والتي تضع الإنسان في أولوية أهدافها وتصنع التنمية من أجله، حيث عرفت التنمية البشرية بأنها "تنمية الناس من أجل الناس بواسطة الناس، وتنمية الناس معناها الاستثمار في قدرات البشر، سواء في التعليم أو الصحة أو المهارات حتى يمكنهم العمل بشكل منتج وخلاق. والتنمية من أجل الناس معناها: ضمان عدالة التوزيع لثمار النمو الاقتصادي الذي حققه توزيعاً عادلاً. وأما التنمية بواسطة الناس، أي إعطاء كل امرئ فرصة المشاركة فيها" (5).

وعند التأمل في هذه الرؤية للتنمية نجد أن ما تم وضعه يركز على الأيديولوجية العلمانية - التي تدعو إلى فصل الدين عن الدولة - إذ كيف تكون تنمية من أجل الناس والله سبحانه وتعالى هو خالق الإنسان وجاعله مستخلفاً في الأرض ليعمرها بالحق والعدل وفق ما رسمه ووجهه سبحانه.

إن هذه الرؤية التي قدمتها الأمم المتحدة هي بلا شك تصرف الناس عن دين الله، وأن الله هو المشرع والمدير لشؤون مخلوقاته، وهذا التوجه والاهتمام بالتنمية من هذا المنظور هو توجه يسير بالأمة في الاتجاه

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج14، دار إحياء التراث، بيروت، 1999م: 296

(3) علام سعد طه، التنمية والتولة، دار طيبة، ط2، القاهرة: 2004م: 10.

(4) الطراح علي وسنو غسان، التنمية البشرية في المجتمعات النامية والمتحوّلة، دار النهضة العربية، د. ط. لبنان:

2004م: 179.

(5) رعد سامي عبدالرزاق، العولمة والتنمية البشرية المستدامة في الوطن العربي، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، 2006م: 32.

المعكس الذي يراد لها أن تكون عليه، فإذا انصرف الإنسان إلى فصل الدين عن الحياة، وبحث عن دساتير وقوانين وضعية بغية العمل بها لتحقيق التنمية، فإن هذا هو الإبعاد للدين، ويترتب عليه بُعد عن هداية الله، وبُعد عن الاستقامة التي يريدتها الله للإنسان، إذ أن من النتائج المترتبة على عدم استقامة الإنسان وفق ما رسمه الله له فساد هذه الحياة، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٤١﴾ [الروم:41] وبهذا نجد أن فساد الأرض مرتبط بفساد الإنسان وصلاحه، مرتبط باستقامة الإنسان وهدايته.

ومما لا شك فيه أن إحدى تجليات فساد الإنسان في الأرض نجده في اتباعه للقوانين الوضعية سعياً منه لتحقيق تنمية لن تتحقق إلا وفق ما رسمه الله له؛ لأن تركه لكتاب الله وتشريعاته وهدايته يُعدُّ السبب الرئيس لتدني مستوى التنمية، وحاجة الإنسان لتلك القوانين واللوائح دليل على حاجته إلى تشريع ينظم شؤونه ولوائح يعتمد عليها لنهضته، ولتستقيم الحياة في كل مجالاتها. وبهذا يشهد الإنسان على نفسه بما يريد الله منه أن يعترف به له، وهذه الحاجة في حد ذاتها تجعل الإنسان يبحث عن مصدر التشريع الذي تنهض به الأمة، إلا أن الانحراف والتضليل المعرفي جعله يتجه الاتجاه الخاطيء؛ ليتلقى مصادر التشريع من القوانين الوضعية الغربية، فالقوانين البشرية حتى وإن وضعت كل مجهودها للنهضة، إلا أنها تعجز عن تعمير الأرض بالحق والعدل كما رسمه الله سبحانه؛ لذا فإن الإنسان يجب أن يدرك ويعي أن المشرع والمدير للمخلوقات هو الله سبحانه من خلال منهجه الذي يُعدُّ دستوراً للحياة (القرآن الكريم).

ومن هنا يمكننا القول أن المعيار الرئيس للتنمية والنقلة النوعية مرتبط بمدى وعي الأمة بالمعرفة التي رسمها الله سبحانه وهدى إليها في القرآن الكريم.

وعند البحث عن أهم الأسباب للتضليل المعرفي فقد تم اختيار أربعة منها كمحاور رئيسة:

1- المنظمات الدولية ودورها في المجتمعات العربية:

لقد تطوّر الصراع مع أعداء الإسلام -اليهود والنصارى- من صراع تقليدي إلى صراع حضاري، وأصبحت هذه الوضعية مثار جدلٍ واسع، ونظرياتٍ متعدّدة تُقدّم نفسها بديلاً عن حقيقة هذا الصراع، والحقيقة الغائبة عن الوعي في كل ذلك أن اليهود كانوا يرقبون مسيرة هذا الدين منذ يومه الأول، ويسعون لإفشاله، وضربه ثقافياً، وإعلامياً، ومنهجياً، وسياسياً، فعند قول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ نجد ما غاب عن وعي كل المجتمعات التي نأت عن كتاب الله، والله سبحانه يوضّح خطورة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وطبيعة نواياهم، ونفسياتهم، وأهدافهم التي كشفها وبيّنها لنا القرآن الكريم كحقيقة ثابتة لديهم، وطبيعة راسخة في أعماق

نفوسهم، ثم إن أكثر ما يغيب عن الوعي الجمعي حقيقة تلك المنظمات ومؤسسيها، حيث غزت المنظمات اليوم معظم الدول والشعوب تحت عناوين ومسميات برّاقة وجذّابة جدًّا، في الجانب الإنساني، والخدمي، والحقوقى، والتّنموي كنوع من أنواع الغزو الحديث، والاستعمار الجديد، بينما كانت هي في الحقيقة وراء ضياع وتدمير الدول والشعوب، وسببًا رئيسًا في حالة الانهيار، وازدياد المعاناة التي تعاني منها الدول الفقيرة، والشعوب المستضعفة.

وفي دراسة لباحثة أمريكية كشفت عن المنظمات اليهودية الكبرى في الولايات المتحدة الأمريكية، وأوجه نشاطها في مناصرة إسرائيل، وكشفت عن بناها التنظيمية وبرامجها السياسية في إطار تاريخي معاصر. وقد أشارت الباحثة (لي أوبرين) أنه جرى نشاط يهودي منذ العام 1963 بواسطة مؤسسة (هيلل) تركز اهتمامها على القطاع الأكاديمي لإيجاد محيط مؤيد لإسرائيل في الجامعات الأمريكية، فزودت الطلاب ببرامج دينية وتربوية واجتماعية واستشارية بما فيه دروس في اللغة العبرية، ومحاضرات عن الصهيونية وإسرائيل، ومنذ العام 1973 يجري العمل على مناصرة إسرائيل بتكثيف ملحوظ في الجامعات للتأثير على الرأي العام الجامعي.⁽⁶⁾

وتقول الباحثة (لي): "تذهب التقديرات إلى أن هناك اليوم نحو مليون يهودي أمريكي أو ما يقرب من سدس جميع السكان اليهود الأميركيين مسجلون أعضاء في تشكيلة من المنظمات الصهيونية الرسمية"⁽⁷⁾. وأسمى هدف لهذه المنظمات تكوين دولة يهودية، حيث سعت هذه المنظمة لتسهيل تحقيق هذا الهدف، وقد أعلن المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في سويسرا سنة 1897م، "أن الصهيونية تسعى لإقامة وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام"⁽⁸⁾.

وأمام ماكشفته هذه الدراسة نجد تحقق مساعي تلك المنظمات في واقعنا من خلال العمل الدؤوب لتلك المنظمات في كل الدول العربية، حيث تم التمهيد لها بكل الوسائل والعناوين لتتمكن من تدمير الشعوب. إن الهدف الرئيس الذي سعت إليه تلك المنظمات تمثل في إثبات أن الأمة تعيش في وضعية سيئة، وفي حقيقة الأمر عند التأمل في هذا الوضع الذي تعيشه الأمة الإسلامية نجده شاهدًا على سوء ما لدى أعدائها هم، وما صنعتهم ثقافتهم، وقد بينه الله سبحانه وأخبر به في كتابه الكريم في قول تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ دُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (البقرة:105)

⁽⁶⁾ ينظر: لي أوبرين، المنظمات اليهودية الأمريكية ونشاطاتها في دعم إسرائيل، مؤسسة الدراسات الفلسطينية: 253

⁽⁷⁾ المرجع نفسه: 17

⁽⁸⁾ المرجع نفسه: 17

إنَّ الله سبحانه يعطينا في هذه الآية قضية ثابتة تحصن الأمة الإسلامية وتبنيها على أرقى مستوى، والأمر لا يستلزم أكثر من الاهتمام والتأمل فيما أرشدنا الله ووجهنا إليه والعمل به، فقد شخص الله لنا نفسية أعداءنا بشكل قاطع و مطلق، و قدم لنا هذه القضية إخبارًا من عنده وهو العليم السميع ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:87] وهذا يدعونا إلى الاتباع وأن نعي صدق ما أخبر به الله سبحانه لتحصن الأمة من تضليلهم، ذلك أن القرآن قد أعطانا النظرة المستقبلية بأنهم لا يودون للأمة أي خير، لنضمن الريادة والقيادة ونكون السباقين لكل علوم الدنيا.

ومن هنا يجب على الإنسان أن يكون موقفه من أهل الكتاب الموقف القرآني مع الاستفادة مما يقدمونه من خدمات، وعليه أن يدرك أن خطورة المنظمات تتجلى من خلال تتغلغلها تحت عباءة الإنسانية، لتقدم العون والمساعدات، وفي حقيقتها فإنها تَبْطِنُ النّوَايا والأهداف العدوانية التي تفتك بالدول والشعوب، وتحطّم الاقتصاد والتنمية، ومن الأهداف المبطنة لتلك المنظمات نذكر منها ما يأتي:

1- التضليل، والتغريب، والتلبيس على الشعوب.

2- خلق رؤية ونظرة حسنة تجاه الشعوب من أجل تسهيل مهمة احتلالها، والهيمنة عليها، والتدخل في كل شؤون الحياة وتفصيلها، وصرف الأنظار عنها.

2- مسح وإزالة حالة اليقظة والحذر من نفوس الناس.

ومن خلال هذا الخداع والتضليل نجدهم يتحركون في جميع المجالات:

- يعملون في الجانب التربوي والثقافي من خلال تقديمهم لمشاريع بناء المدارس والمنشآت التعليمية، ثم يتحكّمون في مناهجها التعليمية، والثقافية، والتربوية.
- في الجانب الصحي من خلال المنظمات الصحية التي تعطل في الأخير دور المنشآت الوطنية، وتفترغ الكوادر الطبية الوطنية من دورها ومسؤوليتها.
- في الجانب الاقتصادي أيضًا الذي ينتهي بترسيخ سياسة الهيمنة، والإذلال، والإفلاس للدول والشعوب المستهلكة، والأمثلة على ذلك كثيرة جدًا. (9)

ومما سبق نخلص إلى أن ما يشهده الواقع وأثبتته الأحداث يؤكد قول الله تعالى في الآية ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ حيث تزودنا هذه الآية

(9) ينظر: فاضل الشرقي، قراءة في المشروع القرآني للشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية اليمني، ط2، 2018م: 215.

بتحصين من أي محاولة للاختراق، فهي قاعدة أساسية وثابتة لا تتغير بتغير الزمان، والمكان، والظروف، لأن النفسية اليهودية هي في كل زمان، ومكان، وكل ما يقدم من جانبهم تحت أي عنوان يكون إنما هو أولاً وأخيراً يصب في صالحهم، وخدمة مصالحهم، وتكون استفادتهم منه كبيرة جداً في مختلف الجوانب السياسية، والإقتصادية، والإنسانية، والصحية، والتربوية، والثقافية وغيرها، وهذا الأسلوب هو نفسه أسلوب الخداع والتضليل؛ لأن كل أعمالهم تتجه للقضاء على كل مقومات النهوض لدى هذه الأمة، وفي مقدمتها الجانب العلمي والحضاري⁽¹⁰⁾.

2- مفهوم (الوسطية) في الإسلام.

تدرك دول الاستكبار العالمي أن من متطلبات الصراع إعداد القوة، ولذلك تسعى إلى تحقيق تلك القوة بكل الإمكانيات والوسائل، ومما لا شك فيه أن الترويج للضعف والاستسلام والجمود والانصراف عن التحرك الجاد؛ والعزوف عن عوامل القوة كان الهدف الرئيس لها، فسعت إلى التضليل المعرفي من خلال ترسيخ مفهوم الوسطية، حيث اشتغل كثير من الكتاب والمفكرين، وألفت كثير من المؤلفات والكتابات والمتعددة حول مفهوم الوسطية في الإسلام انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: من الآية 143] وعلى الرغم من هذا الاشتغال الكبير بهذا المفهوم، وتلك المؤلفات والدراسات التي لاقت رواجاً إعلامياً كبيراً لدى الرأي العام، فإنهم قدموا هذا المفهوم على الوجه الذي يناقض معناه الحقيقي الذي رسمه الله في كتابه العزيز، وهذا التوجه الكبير لهذا المفهوم كان من ضمن ما تم التخطيط له مسبقاً وتم دراسة أثره في الواقع ونتائجه.

بمعنى أكثر وضوحاً هذا المفهوم يدرج ضمن كثير من المفاهيم التي استخدمت للتضليل المعرفي والفكري، ومن ثم التضليل العملي، ومن نتائجه هو ذلك الواقع المهزوز الضعيف المنكسر.

هذا التضليل تجلى من خلال تقديم مفهوم الوسطية بالشكل الذي يوحى بالاستسلام من خلال القبول بالأخر المعادي.

وللتأكيد على ما ذكرناه نشير إلى بعض الدراسات، وكيف فسرت معنى الوسطية، فهذه دراسة للباحث (علي الطلبي) يسرد معنى مفهوم (الوسط) في كل المعاجم، ومن ضمن ماتضمنته المعاجم معنى: الأفضلية، وتأتي صفة بمعنى (خيار) وأفضل وأجود، فأوسط الشيء أفضله وخياره⁽¹¹⁾.

(10) ينظر: المرجع نفسه: 220

(11) لسان العرب، فصل الواو، باب وسط (427/7)

ثم ينزاح عن هذا المعنى إلى الآراء التي تفسر الوسطية بأنها: التوسط في الدين الذي لا غلو فيه كغلو النصارى، ولا تقصير فيه كتقصير اليهود⁽¹²⁾.

وفي دراسة أخرى بعنوان **(الوسطية ومظاهرها في القرآن الكريم)** تجلّى الباحث متخبطاً في توضيح معنى الوسطية، حيث انطلق من المعاجم، ثم خلاص إلى مجموعة من المعاني يسردها بقوله " نجد أن العلماء القدامى قد بينوا معاني الوسطية والتي تندرج تحت ألفاظ أخرى تلتقي مع الوسطية في المضمون، كالتوازن، والسداد، والعدل، والقسط، والقصد، والاعتدال" ثم يختار الباحث من هذه المعاني معنى الاعتدال ويقوم بالتحليل وفق هذا المنطلق - ما يخص الاعتدال- ويؤكد ما يريد التأكيد عليه بقول ابن تيمية "والاعتدال في كل شيء استعمال الآثار على وجهها، فمتابعة الآثار فيها الاعتدال والائتلاف والتوسط الذي هو أفضل الأمور"⁽¹³⁾.

إنّ ما تقوم به هذه الدراسات وغيرها -فيما يخص معنى **(الوسطية)**- هو استقطاع المفردة من سياق الآية في قول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ والبحث عن معناها بحسب ما أوردته المعاجم و **المرجعيات الخارجية**، بحيث تكتسب معنى بعيد عن المعنى الذي أراده الله لها في سياق النص، وهذا يتم العمل به في كثير من الدراسات والأبحاث التي تؤول المفاهيم القرآنية وتخرجها من سياقها النصي في القرآن ومما يؤدي إليه المعنى وترابطه مع البنية الداخلية للآيات، وتنطلق إلى خارج النص - مفتقرة لهدى الله - فتسقط معنى أي مصطلح بحثت عنه في المرجعيات الخارجية على مفهومه في النص القرآني، وتحاول تأكيد صحة ما قدمته بالاستشهاد بآيات أخر في محاولة لمقاربة ماجاءت به من تلك المرجعيات الخارجية.

إنّ الرؤية الحقيقية للوسطية ارتبطت بمدى فهمنا للنص القرآني ووعينا بما يهدي إليه القرآن، إذن فشكلتنا هي مشكلة ثقافية في الأساس، سببه التثقيف المغلوط والخاطئ لفهم قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: من الآية 143]

وإذا ما رجعنا إلى تعريف الوسطية في اللغة العربية، نجد أن أوسط في اللغة العربية تعني: أفضل وأحسن، إذن معناها اللغوي تعني أمة من أوسط الأمم، أي من أفضل الأمم.

هذا فيما يخص المعنى اللغوي، وأما إذا تأملنا هذا المفهوم من خلال سياق الآية وترابطها فيما يؤدي إليه المعنى، فإن الله جعلها الأمة الوسط القويّة والمؤهلة لحمل رسالة هذا الدين، وتكون في نفس الوقت

(12) ينظر: علي الطلابي، الوسطية في القرآن الكريم، مكتبة الصحابة، الإمارات، ط1، 2000م: 28.

(13) عصام راجح، الوسطية ومظاهرها في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة القرآن الكريم، السودان، 2016م: 8.

شاهدة على الناس، ومعنى أن تكون شاهدة على الناس فهو الشَّهادة بعظمة هذا الدِّين، وجاذبيته كواقع يتجلى من خلال الممارسة العملية، لتقدّم نموذجاً حقيقياً يشهد بعظمة هذا الدِّين، وتكون شاهدة على النَّاس، وهذا يتنافى مع ما توصل إليه كثير من الكتاب والإعلاميين بأن الوسطية يعني الاعتدال والليونة. ومما لا شك فيه أن هذا التضليل الثقافي والعملي في المعنى والمضمون بُذل فيه جهود حثيثة لتقديم الدين بهذه الصورة الضعيفة، والانحراف عن الأمة الوسط التي بينها القرآن الكريم، فتكون أقوى وأفضل أمة تشكّل جاذبية لهذا الدِّين، أمة قويّة متوحّدة، ومتماسكة، ومتكوّنة على أساس القرآن الكريم، فينشد إليها النَّاس، وتبني المجتمع، وترتقي به بشكل صحيح وقوي.

إذن الأمة الوسط هي الأمة التي يجب أن تكون أفضل وأحسن الأمم، والله القائل فيها: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:110]

والملاحظ في هذه الآية أن خيرية الأمة مرتبط بحملها للمسؤولية واتباعها لهدى الله، وقيامها بمسؤولياتها الكبيرة في الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإيمانها بالله واتباعها للقرآن والرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا يجعلها متوحدة وقويّة، وذو بأس شديد في مواجهة أعدائها، وحملها لرسالة الله بإخلاص عالٍ، ويكون المؤمنون أشداء على الكفار، أعزاء على الكافرين؛ هذا معنى أمة وسطاً، كما قال الله عنهم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:29] لا على ماتم تفسيره بأن الوسطية القبول بالآخر المعادي، فمتى ما حملت الأمة هذه المسؤولية المناطة بها كانت الأمة (الوسط) الأفضل وكانت خير أمة، والمسؤوليات التي أمر الله بها هذه الأمة لتكون خير أمة تُعدُّ المقومات الرئيسية للنهوض التي تجعلها في مقام الأفضلية(14).

وحتى تكون أمة وسطا فإن الله جعل لها قيادة وسطية، ومنهجاً من أفضل المناهج، لتكون أمة قويّة قيادة ومنهجاً، فالقرآن (المنهج) ورسول الله صلوات الله عليه وعلى آله يمثل (القيادة) وهما الأساس في تربية الأمة الوسط لتكون شاهدة على الناس.

ومما سبق نجد أن الله يربي الأمة الوسط أن تكون على مستوى القوة لا الضعف، وقد تجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:29] ومن الملاحظ في واقعنا الحاضر أن هذه الآية قد ضاعت من منهج الأمة، ضاعت عندما قدموها كثقافة يدينون بها أي: أن تعتقد أن الأمة الوسط هي هذه الأمة التي لا تمثل أي شدة، ولا قوة على أعداء الله، فلم يكف الانحراف العملي، وإنما قدموا انحرافاً عقائدياً يدين الناس به، ويعتقدون أن هذا هو معنى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، والحقيقة أن هذه الأمة الوسط هي

(14) للتوسع في موضوع (الوسطية) ينظر: فاضل الشرقي، قراءة في المشروع القرآني: 458.

التي قال لها الله: ﴿قُلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة:29] هذه هي الوسطية، فالله الذي يقول للأمة الوسطية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُلُوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال:15] وكثير من الآيات التي تحمل توجيهات إلهية تجعل من أمة محمد صلى الله عليه وآله أمة وسطا.

إذن تبين من خلال ما سبق أنّ ما تم تقديمه عن الوسطية يُعدُّ تضليلاً كبيراً، وانحرافاً عن معناها الحقيقي في القرآن، ففي حين تعبر الوسطية في القرآن عن القوة، عبر المضللون عنها بمعنى الضعف، وجعلوا الأمة تُكسر من وسطها، فالله أراد للأمة العزة، وهم أرادوا لها الذلة والانحطاط .

إذن الوسطية لا تعني الاعتدال، وأنّ الأمة الوسط هي الأمة القويّة في دين الله، الشديدة في مواجهة أعدائها، وفي حماية نفسها، وعرضها، ودينها، ووطنها، هي الأمة التي يجعلها الله هو أمة وسطاً، وتبنتي في ذاتها، وتكوينها، ومواقفها على أساس القرآن الكريم.

3- الجهل بمنهجية القرآن.

إنّ السبب الرئيس للتخلف والتراجع الذي تعاني منه الأمة يعود إلى أنها لم تهتد بالقرآن، ولم تعتمد عليه كونه كتاباً للحياة، فكّل ما هدانا الله إليه في القرآن الكريم هو وحده المنهج الصحيح الذي لا يمكن أن تستقيم حياة البشر وتنتظم إلّا به، وسبب انحطاط الأمة هو جهلها بمنهجية القرآن الكريم.

وهنا نورد ما جهلته الأمة الإسلامية عن منهجية القرآن الكريم في الآتي:

1- شمولية القرآن الكريم في هداة، وبيئاته، وتوجيهاته: يتجلى شمولية القرآن الكريم من خلال قول الله تعالى:

﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: من الآية 89] ومعنى هذه الآية أن القرآن الكريم قد هدى إلى العلوم، والاكتشافات، والاختراعات العلميّة، والتقدميّة بطريقة توجيهيّة مرتبطة بجانب المسؤولية، والعمل، والحركة في هذه الحياة، وبالتالي تفودنا إلى هذه العلوم، والمعارف، والخصائص المهمّة، والضروريّة في عملية بناء الأمة.

وفي قوله تعالى: ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يعطي الله الناس توجهاً معيناً كفيل بالوصول إلى الأشياء، ولكن لا يعني ذلك أنه يذكر تفاصيل علم من العلوم، بل إن التبيين المعرفي في القرآن الكريم، والهداية العلميّة تكون بشكل قواعد تهدي إلى أبواب من العلوم والمعارف، التي يتحقق بها ومن خلالها البناء الشامل والنوعي للأمة.

2- القرآن الكريم كتاب عملي.

لقد أصبح هناك الكثير من العلمانيين الذين يرون أنّ القرآن الكريم والدين لا يصلح للحياة، بينما لو اهدت الأمة بالقرآن، وسارت وفق توجيهاته وتعليماته لكانت هي الأمة السبّاقة والرائدة، والمنقّمة في هذا العالم في مختلف فنون ومجالات الحياة، ذلك أنّ القرآن الكريم عمل على أن يدفع بالمسلمين للسبّاق الحضاري، والعلمي من دافع عقائدي وإيماني، قبل منطلقات ودوافع الحاجة والظروف الذي انطلق من خلالها الغربيون اليوم، وكان السبق لهم في مجال الاختراعات والإبداع والتصنيع، وهذا الانطلاق كان المتوجب على المسلمين أن ينطلقوه هم باعتبار العبادة، وبدافع عبادي من منطلق الأوامر الإلهية (تفكروا) (بتفكرون) والتفكر هو دراسة الأشياء وفهمها⁽¹⁵⁾.

وهنا يمكننا القول أنّ القرآن الكريم يُعدُّ كتابًا للحياة الذي نهدي به في كلّ شؤون حياتنا، ومن خلاله نستطيع أن نتعرّف على الواقع بكلّ تفاصيله، ووقائعه، وأحداثه، ونعرف من خلاله وبه الحياة بكلّها.

إنّ القرآن الكريم كتاب عملي، ولكي نهدي به لا بدّ أن نتعامل معه بروح عمليّة، ونفوس متحرّكة

3- القرآن عميق في اتجاه واحد.

يعدُّ القرآن الكريم عميقًا جدًّا، لا يستطيع أحدٌ أن يحيط بسعة علومه، ومعارفه، ولكنّه عميقٌ في اتجاه واحد، فمهما بلغ عمقه، وسعة معارفه إلاّ أنّه يعطي رؤيةً واحدةً وشاملةً .

ومن هذا المنطلق تُبطل مقولة أنّ القرآن "حمّال أوجه" لأنّ هذا يتنافى مع قول الله سبحانه وتعالى: ﴿كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتِهِ﴾ [هود 1]، ومما لاشك فيه أنّ هذه المقولة شكّلت تضليلًا معرفيًا وثقافيًا وفكريًا عند العامة، إذ من خلال هذا التثقيف جعلوا القرآن من الظنيات وهذا يخالف آياته المحكمة ويضرب الهدى والنور داخل القرآن الكريم، ويؤدّي إلى الاختلاف والتناقض.

إنّ هذه الثقافة المغلوطة ساهمت في ضرب الثقة بالقرآن الكريم، فالله تعالى يقول فيه ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت 42] فالقرآن لا يوجد فيه منفذ للباطل على الإطلاق، ولا يتطرق إليه الباطل، لا أن يكون شاهدًا على باطل، ولا أن يلحق به باطل، ويُفرض عليه⁽¹⁶⁾.

⁽¹⁵⁾ ينظر: فاضل الشرقي، قراءة في المشروع القرآني: 69.

⁽¹⁶⁾ ينظر: المرجع نفسه: 73.

4- القرآن أوسع من الزمن.

إنّ القرآن الكريم لا يتأطرّ بحدود، وزمن، وجغرافيا معيّنة، بل نظرته، وحدوده واسعة وشاملة للحياة، وللكون، وللبشريّة، ويُعدُّ القرآن الكريم أوسع من الزمن، فهو كتابٌ واسعٌ جدًّا لا حدودَ زمنيّة، ومكانيّة له، ولا لعلومه ومعارفه فيصبح منتهيًا، أو عاطلاً عن العمل، ولا يمكن أن يسبقه، ويتجاوزه الزمن، بل هو كتابٌ يسبق الزمن حقيقة، ويواكب الحياة البشريّة بكلّ سعتها وزمنها، وكأنّه جديدٌ دائمًا في كلّ زمنٍ وعصر، في حركة الحياة، فيما يهدي إليه، وكأنّه جديدٌ دائمًا، والجدة تكون فيما يهدي إليه ويكشفه ويرشد إليه.

ومن السنن الثابتة في القرآن الكريم أنّ الله لا يوجّه بشيء، ويأمر بشيء إلا ويهدي إلى الطرق والأسس التي يقوم عليها، وتؤدّي إليه، وفي قول الله سبحانه تعالى: ﴿كَتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ﴾ [هود 1] أنّه حكيمٌ في وقائعه، وحقائقه، ومعانيه، فكلّ ما مضى الزمن تجد القرآن الكريم أوسع منه وأشمل، مؤكدًا أنّه لا توجد آية في القرآن الكريم إلا وهي ترسم منهجاً عملياً في الحياة فيقول: (أحكمت) أي: أشياء من هذه حكيمة جدًا جدًا تعطي معاني واسعة وواقعية، وحقائق مهمة مع الزمن. (17)

وبالتالي نلاحظ أن كلّ ما مرّ الزمن ومضى، وكلّما تعاقبت العصور، واتّسعت شؤون الحياة، كلّما اتّضح القرآن، وفهم بشكلٍ أدقّ، وأفضل، وأوسع، فيتناول كلّ شيء على أفضل وأرقى مستوى.

-المبحث الثاني: استراتيجية التصحيح المعرفي والثقافي .

إنّ الأمة الإسلامية تعيش واقعًا معزولاً عن حقيقة هداية القرآن الشاملة لها في شتى مجالات الحياة، وعمّا تحتاج إليه اليوم – كأمة عربية مسلمة - للنهوض والبناء، ومواجهة كلّ التحديات والمخاطر المحدقة بها، واستئناف مسيرتها الحضارية الشاملة، ولهذا فإنّ استراتيجية التصحيح المعرفي والثقافي تتركز بصورة رئيسة على المعرفة والثقافة القرآنية، ذلك أن المعرفة والثقافة القرآنية لا تتأتى إلا من خلال قراءة النصّ القرآني وفق الطريقة الصحيحة التي رسمها الله للتعامل معه، والاستهداء به في واقع هذه الحياة؛ لأن طبيعة هدي القرآن متجدد مع صيرورة الحياة ومع حركة الإنسان فيها .

(17) المرجع نفسه: 76.

ومن هذا المنطلق فإن منهجية التعامل مع كتاب الله لا بد وأن يكون مهادًا لاستعادة حيوية القرآن الكريم، والكشف عن هدايته تجاه متطلبات الحياة المعاصرة، وتجاه تحدياتها.

وفي هذا السياق نتطرق إلى ما هدانا إليه القرآن ورسمه للبشرية في سبيل تحقيق تنمية شاملة مستدامة من خلال الآتي:

1- الخطوات العلمية في القرآن لتحقيق التنمية الشاملة.

إن منهجية المعرفة تتأتى ضمن مسيرة وحركة، فكلما اتسعت دائرة مهام الناس اتسعت المعرفة، والقرآن الكريم يقدم منظومة متكاملة من الخطط والبرامج العلمية التي أنعم الله بها على عباده، وهداهم إليها في كتابه، وهذه البرامج كانت كفيلة ببناء الحضارة العالمية بشكل صحيح وسليم، وبشكل أفضل وأرقى مما وصل إليه الغرب، ووصلت إليه الحضارة اليوم، كلّ ذلك ممكن أن يحصل من خلال المعرفة التي لا تتأتى إلا من خلال البحث العلمي المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالهداية، فالقرآن يهدي الهداية الشاملة في مختلف جوانب وشؤون الحياة، وهذه الرؤية الواعية لم تكن لتتجسد عند المفسرين عندما جعلوا كلمة: ﴿هُدًى﴾ و﴿هُدًى﴾ تنصرف إلى مجال العبادات البحتة - يعني إلى صيام و الصلاة - وغاب عن الوعي الجمعي أنّ القرآن كتاب حياة شاملة، يهدي الناس في كلّ مجالات وشؤون الحياة، وليس فقط إلى الجانب الإيماني العبادي الروحي، وهنا يكمن نوع من التضليل عند تفسير مفردة (يهدي) بأنها الهداية إلى طريق الجنة، أي إلى ما تعمل به لتصل إلى الجنة، فهذه الرؤية المغلوطة شكلت تضليلاً للوعي الجمعي.

ويمكننا القول أن القرآن الكريم في هدايته يُعدُّ مفتاحاً لكلّ العلوم، وقد أعطى وقدم المؤشرات، والموجهات، والمسؤوليات العامة والعلمية التي تحقق النهضة الشاملة، والنمو، والتقدم، والازدهار لهذه الأمة، وفي سياق هذه المؤشرات والموجهات هيأ الله سبحانه وذلّل كل المسخرات الموجودة في السموات والأرض بما يتكيف ويتلاءم مع حاجات الإنسان ووضعته، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجاثية: من الآية ١٣] ومعنى التسخير في العبارة توحى بأن الأشياء هذه قابلة لأن نستخدمها، وعندما ننظر إليها على سعتها الكبيرة جداً نجد قائمة طويلة عريضة من الأصناف والأنواع المتعددة من المخلوقات بدءاً من الكواكب، والشمس، والقمر، والهواء، ومختلف المعادن، والنباتات، وكل العناصر الموجودة في هذا العالم، كل مفردات ما في السموات، وما في الأرض فهي مسخرة.

وهنا نجد أن حياة الإنسان مرتبطة بهذه المسخرات، وأنها قابلة للإنسان، ومثلاً على ذلك ما يتعلق بحيوانات معينة: أنه ذلها، وسخرها، فنجدها قابلة لأن نستخدمها للأغراض المتعددة كالإبل، والبقر، والخيول، والبغال، والحمير، ومختلف الحيوانات المنزلة، ونجدها قابلة لمختلف الأغراض، وبيّن في آيات

آخر كيف تكون الأشياء المسخرة قابلة للاستخدام المتعدد، فذكر: تركيبون، وتأكلون، وتستخدمون من جلودها بيوتًا، ومن أصوافها، ومن أوبارها، وأشعارها أثنًا لكم ومتاعًا إلى حين.

هذه أمثلة من كثير مما سخر الله للإنسان وهداه إليه وأعطاه المؤشرات، والموجهات، والمسؤوليات العامة والعلمية التي تحقق النهضة والتنمية الشاملة⁽¹⁸⁾.

2- مناهج وأساليب النهوض والتنمية في القرآن الكريم.

يركز كثير من المنظرين للحركات الإسلامية على قضية رسم المناهج، والخطط، والأساليب العملية، والحركية، والدعوية، وهذا يُعدُّ شيئًا طبيعيًا لأي حركة أن يكون لها منهجٌ وخطّة، لكن المؤسف أنه لا يوجد التفاتة للقرآن الكريم، ولما قدّمه من مناهج، وطرق، وأساليب شاملة، فنعود إليه، ونعتمد عليه، ونهتدي به في وضع الخطط والمشاريع، فتكون خططنا، ومشاريعنا، ومناهجنا، وأساليبنا قرآنية، فتتحرك بحركة، ومناهج، وأساليب، وطرق القرآن الكريم.

إنّ موضوع المناهج والأساليب من المواضيع التي هدانا الله إليها في القرآن الكريم، ويعدُّ القرآن الكريم أهمّ منهج للتنمية البشرية، وتطوير القدرات، والوسائل، والأساليب الذاتية، فرسول الأمة (صلوات الله عليه وعلى آله) كانت مناهجه، وأساليبه، وطرقه وتحركه من خلال القرآن الكريم، وكان يطور أساليبه، ومعارفه من خلاله، والقرآن الكريم يقدّم الطرق، والوسائل، والمناهج، والأساليب الشاملة.

وقد اهتمّ القرآن الكريم ببناء الأمة، والارتقاء بها حضاريًا، وعلميًا في كلّ مختلف مجالات الحياة وبشكلٍ راقٍ جدًّا، ولو ركّزت الأمة على الاهتداء به لوصلت واهتدت إلى أرقى العلوم، وأنفعتها للبشرية، وكانت هي الأمة السبّاقة في المجال العلمي، والمعرفي، والحضاري، لكنّ الإعراض عن هدى الله يمثل خسارةً كبيرةً للبشرية، ويؤدّي لضياح العلوم التي تبني الحضارة، وترتقي بالحياة، ويفقد الناس بسبب إعراضهم عن هدى الله الكثير من هذه العلوم، والأسرار العجيبة التي أودعها الله في هذا الكون، وسخرها لهم في باطن وظاهر السماوات والأرض.

إنّ القرآن الكريم يهدي ويرشد إلى قضايا تدفع بالإنسان لأن تتوسّع، وتتعدّد علومه، ومعارفه، وعندما تسير الأمة على أساس هدى الله سبحانه وتعالى، فإنّها تحصل على علوم ومعارف كثيرة جدًّا، وتتحوّل هذه العلوم والمعارف باعتبار الغايات والمقاصد إلى طاعة وعبادة الله سبحانه وتعالى، وتشكل خيرًا ونفعا

⁽¹⁸⁾ ينظر: فاضل الشرقي، قراءة في المشروع القرآني

للإنسانية، فهدى الله هو الطريق الصحيح لنيل العلوم والمعارف الواسعة، وإلى بناء الحضارات التي تعمر بها الحياة على أرقى مستوى، ومن جملة الأساليب التي هدانا إليها القرآن نذكر منها الآتي:

أ. **أسلوب الخطاب الجماعي للأمة:** ينطلق القرآن في توجيهاته الإلهية للكشف عن مساحة واسعة من هدى الله الذي يتطلب العمل الجماعي، فيتكرر دائماً خطاب الله سبحانه **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾** وهذه الآيات توحى بأن هذا التوجيه يجب أن يؤدي بشكل جماعي، وأن الفرد لا يمكنه القيام بها مفرداً كالأعمال التعبديّة الفرديّة (الصيام، الصلاة، الزكاة، الحج) والقرآن هنا يوجه إلى ضرورة بناء أمة متماسكة و مترابطة، وهذه الأعمال الجماعية تتضمن مسؤولية كبرى لا يستطيع الفرد أن ينهض بها، ومن خلال هذه المسؤولية التي وجه الله سبحانه وتعالى الأمة إليها فهي التي ستجعلها خير أمة أخرجت للناس، وهذه الأوامر الإلهية تجلت في (الجهاد، إقامة القسط، إعلاء كلمة الله في الأرض، نصره المستضعفين، إصلاح الحياة...).

إنّ الغاية الأساسية من هدى الله سبحانه هو بناء الأمة القادرة على النهوض بمسؤولياتها ورسالتها الحضارية التي تتمثل في رسالة الاستخلاف في الأرض، وتعميرها وإصلاحها بالحق والعدل؛ ولذا فإن الأعمال الفرديّة لا تكفي لتحقيق هذه الرسالة، وليس كون الإنسان يصلي ويحج ويزكي ويصوم، سيحقق له تعمير الأرض بالحق والعدل، وعلى علم الله سبحانه بخطورة أعداء الدين من اليهود، فإن هذه الأعمال الفرديّة تحتاج إلى التكامل حتى تصل إلى تحقيق رسالته الحضارية في الأرض، وهذا التكامل والترابط وجهنا إليه سبحانه وتعالى في أساليب القرآن من خلال الأساليب الجماعية فقال تعالى **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾** [الصف:14] والنصر لدين الله لا يتم إلا بالعمل الجماعي والتكاتف من قبل مجموعة يشكلون أمة، لذلك قال تعالى **﴿وَلَتَكُنَّ مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [آل عمران:104].

ب- **الأسلوب التربوي الإيماني الجهادي:** تُعدّ التربية الإيمانية الجهادية من الأساليب القرآنية المهمة التي تحمل مساراً تربوياً رئيساً في بناء الأمة وإصلاحها، ذلك أن (الجهاد) من الأعمال الكبرى المناط بالمؤمنين لإعلاء كلمة الله، ونصر المستضعفين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا يتطلب جهداً جماعياً مترابطاً – كما مر سابقاً- كما أن الأمة أحوج ماتكون إلى هذه التربية في حاضرها، وقد ورد في القرآن أكثر من خمسمائة آية تحت على الجهاد، قال تعالى **﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيَّ الْفُحْشَ وَالْمُنْكَرَ وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾** [التوبة:16] والقرآن يوجهنا إلى أن الجهاد تربية إيمانية مستمرة، ومساراً مهماً لبناء الأمة ونهوضها بمسؤولياتها الكبرى، ورسالتها الإنسانية في الأرض، ذلك أن الله قد بيّن لنا نفسية أعداء الدين وعداوتهم وتحركهم الدائم، وحذرنا في أكثر من آية، ومن هنا نستطيع القول أن هذه التربية الإيمانية الجهادية هي أهم الأساليب التي وجهنا إليها الله

سبحانه، وقد سمي الله المجاهدين بالمحسنين، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جُهِدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:69] نلاحظ في هذه الآية أن الجهاد في سبيل الله أعظم مرتبة من مراتب الإحسان للذات؛ لأن الله وعد المحسن بالهدى لسببه؛ وقد جعله الله أعظم مرتبة من مراتب الإحسان، لأنه حماية للناس جميعاً من الاستعباد والقهر والذل والمهانة، وهو صون للأعراض والأنفس، وحماية لكرامة الأمة وعزتها، وبالإضافة لما يحظى به المجاهد من هداية فإنه أيضاً يحظى بمعية الله (وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) وهذه العبارة جامعة لكل خير، فإذا كان الله مع المجاهدين في سبيله، فإنه سيحقق لهم العزة والنصر والظفر والرعاية والتأييد.

ولعلنا نلاحظ أن الجهاد في سبيل الله لا يقتصر فقط بوصفه إحساناً للذات بل يتعداه إلى الآخرين، فيكون إحساناً للأمة لرد الظلم عنها، لنصرتها، للحفاظ على مقدساتها، مبادئها، لصون كرامتها، وعزتها، لتكون أمة متماسكة قوية؛ ولذا فإن الجهاد في سبيل الله من أعظم صور ومراتب الإحسان.

ومن هنا نجد أن القرآن قدم الجهاد في سبيل الله كمسار تربوي إيماني مهم، ومعالجة حقيقية وعميقة وعملية للواقع الداخلي والخارجي على حد سواء.

إنّ التّضليل المعرفي لهذه التربية الإيمانية وفق ما وجه القرآن يكشف عن تناقض هذا الواقع مع المسارات التي يرسمها الله في القرآن وهديه، ومع المسار الذي اتبعه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وتحرك به كقائد ومربي على الروح الجهادية.

ج- الوعي بالتجربة التاريخية في قصص القرآن الكريم:

تُعدُّ العودة إلى التاريخ نزعةً معرفيةً بشريةً مألوفةً ، كما أنها توجّه بارزٌ ولموس لاسيما في المشاريع الكبرى التي تتبناها الجماعات والأمة لنهوضها ، مستعينةً بخبرة وتجارب الماضي لرسم سياساتها في الحاضر ، وتصحيح أخطائها ، وتوجيه مساراتها ، وقد توجه كثير من الباحثين – في القرن الماضي- إلى الاهتمام بالتاريخ في محاولة لإعادة قراءته، إلا أن وعي هذه الطروحات والمشاريع اتسمت برؤية قومية أو دينية لاجترار أمجاد أمم ماضية وبطولاتها ووقائعها ورموزها لا أكثر، فتعاملت مع التاريخ وتجاربه بصورة منتقاه، وغاب عنها الرؤية الحقيقية لقراءة التاريخ والوعي بالتجربة التاريخية لمواجهة أزمة الحاضر.

إنّ استعادة الوعي بالتجربة التاريخية وعلاقتها بالحاضر لا بد منه؛ لنهوض الأمة وتصحيح مساراتها الخاطئة والمأزومة، وتعزيز قدراتها لمواجهة التحديات والأخطار المحدقة بها، وقد جعل القرآن الكريم من التاريخ ، وتجاربه مجالاً من مجالات هدايته الواسعة، حيث إن قراءة أحداث التاريخ من جديد واستخلاص

الخبرة والقوانين التي تطرد في تاريخ الأمم أو الأفراد يكشف عن العوامل والأسباب المؤدية إلى تقدم الحضارات أو تراجعها .

من هذا المنطلق كان هناك من الباحثين من يرى أن التقدم يحتاج وعياً تاريخياً يُمكن من فهم التجربة البشرية (19)، ولذا فإن الوعي بالتاريخ وتجاربه في قصص القرآن يعزز من الوعي النقدي تجاه الأحداث والمواقف في حاضرنا، والله سبحانه جعل من القرآن (تبييناً لكل شيء) وفي تجارب القصص القرآني أهمية كبرى لمعرفة الحاضر، والتعرف عليه بوعي وعمق من منطلق وجود علاقة قوية بين الماضي والحاضر، كما أن "من الغايات التي يهدينا إليها الخطاب القرآني الكريم هو أن التاريخ يُمتثلُ مصدرًا للمعرفة بتجارب الحياة التي نعيشها، وتهدينا قصصه وأحداثه إلى السُنن والنواميس المطردة في هذه الحياة (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) [الأحزاب:62]. كذلك - وفي هذا السياق- تجد قصص القرآن تهدي إلى الأسباب والدوافع اللطيفة والدقيقة التي تُفسر لنا وقوع حوادث أو مواقف مُعينة تُكون ذات أثر ودور في مسار حياةٍ بأكملها، سواء كانت حياة فرد ما، أو حياة أممٍ وأجيال لاحقة كانت على علاقة بحياته وبمواقفه" (20) ، ويمكننا رصد تلك الأحداث والمواقف التاريخية من القصص القرآني وتفسيرها في واقعنا المعيش، ومن تلك القصص التي كان لها أثر ودور في الحياة قصة سيدنا يوسف عليه السلام- وتمكين الله له في الأرض، حيث كانت خلاصة الخبرة والتجربة في قصته أن كانت فاتحة لتاريخ أمة من الأمم في مصر، وعلو شأنهم فيها، وهم بنو إسرائيل (أسباط يعقوب) (21) .

وقد قدم القرآن الكريم نموذجًا عن بني إسرائيل، حيث كان لديهم فيما مضى حضارة وعلومًا راقية جدًا، من أبرزها ما كان عليه الواقع العلمي، والحضاري في دولة نبي الله سليمان (عليه السلام)، وآثار حضارية راقية تدل على امتلاكهم وسائل علمية متطورة جدًا هي ممّا سخره الله لعباده، ومن ذلك - أيضًا- كان هناك علومًا مهمة تعدُّ من مقومات الحضارة، وبناء الحياة، كما كان لدى ذي القرنين، ونبي الله سليمان، وغيرهم، ولا تزال معالم، وبقايا، وآثار هذه الحضارات قائمة إلى اليوم، ثم أن القصص القرآني يحكي لنا كيف تجلت خسارتهم الكبيرة في مختلف المجالات، ويعود سبب ذلك إلى انصرافهم وإعراضهم عن هدى الله، وبهذا ندرك أنّ الأمة التي تعرض عن هدى الله تخسر خساراتٍ كبيرة جدًا، وتجلب الخسارة للأمم الأخرى.

(19) يُنظر: ولد السالم، دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، بدون ت: 3

(20) خالد الشامي، كيف نقرأ التاريخ، الهيئة العامة للكتاب والنشر والتوزيع، صنعاء، 2017م: 3.

(21) يُنظر: المرجع نفسه: 3- 4

الخاتمة

في سياق استراتيجية التصحيح المعرفي والثقافي نوّكد بأنّ القرآن الكريم هو المنهج الوحيد القادر على بناء الأمة، والنهوض بها، وإصلاح وضعها، ومن خلال المتابعة الدّقيقة للأحداث، والتأمل الصحيح في القرآن الكريم، والمعرفة بالسنن الإلهية في التغيير، فهناك ضرورة إلى التغيير المعرفي والثقافي أوّلاً، إذ لا يمكن تغيير هذا الواقع السيئ مالم يحدث التغيير الثقافي والمعرفي وفق السنن الإلهية، وأنّ الله لا يسمح للتغيير أن يحصل، مالم تتغيّر الرؤية والثقافة على قاعدة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11]. إن هدى الله يبني الأمة على أرقى وأعلى مستوى، وما الأمة عليه في واقعها الراهن من ثقافات مغلوبة وتضليل معرفي وثقافي ليس من دين الله في شيء؛ لأن هذه المعرفة والثقافة المغلوبة جاءت من خارج كتاب الله سبحانه وتعالى؛ لذا فإنه من الملزم السعي إلى التصحيح المعرفي والثقافي وفق ما رسمه الله سبحانه وهدى إليه في كتابه الكريم، وتنزيهه الله سبحانه وتعالى أوّلاً عن أن يكون دينه، ومنهجه وراء هذه الوضعية السيئة، وأنها نتاج الانحرافات السابقة، والثقافات المغلوبة، والتضليل المعرفي الذي سعى إليه أعداء الإسلام الذين حذر الله منهم في كتابه الكريم في آيات تحتاج إلى الوعي والبصيرة والحركة والعمل.

نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أبرزها ما يأتي:

- 1- إنّ الأمة وقعت في خسارة كبيرة جداً عندما لم تهتد، ولم تعمل بالقرآن الكريم، وأننا في هذا العصر، وهذه المرحلة ضحية للتقصير، والانحراف الثقافي، والتضليل المعرفي بسبب ابتعادنا عن القرآن الكريم.
- 2- إنّ الحضارة والعلوم بحاجة إلى هدى الله الذي يشكل ضامناً لأن تبقى منتجة بشكل مستمر لكل ما يشكل خيراً للبشريّة، وأنّ اليهود يُشكّلون مصدر شرٍ على البشريّة بكّلها، وعلى مختلف الديانات، والجنسيات، والبلدان .
- 3- قام القرآن الكريم على أساس تقديم رؤية تربويّة، ومنهجية للأمة تجعلها على مستوى عالٍ من الوعي، واليقظة، والنّهضة .
- 4- يعتمد بناء الأمم وتطوّرها، ورفقيها، أو تحطّمها، وضياعها على مدى تعاملها، واعتمادها، واتباعها للقرآن الكريم.

- 5- شمولية، وإحاطة القرآن الكريم أمام تناوله لكل الأحداث، والعلوم التي لا يستطيع أي خبراء، وباحثين عسكريين، وسياسيين، وقانونيين أن يصلوا إلى شيء من هذا، وهذا من عظمة القرآن الكريم، وهده، وبيئاته، وعلومه، ومعارفه، ونوره، وبصائره التي يقدمها للناس.
- 6- لا يمكن لأي أمة من الأمم أن تحصل على خبرات، ولا خبراء من أي جهة على الإطلاق مهما كانت، وبالشكل الذي يمكن أن تحصل عليه من خلال القرآن الكريم.
- 7- لو اهتدى المسلمون بالقرآن الكريم، لكانوا هم مصدر الحضارة، والعلوم، والمعارف، والتقدم ولاستطاعوا أن يبنيوا الحياة، ويعمروها بشكل أفضل، وأرقى مما هي عليه الآن، وبأفضل مما توصل إليه وقدمه الغربيون، وبشكل صحيح، وسليم لا يحمل أي أضرار.
- 8- إن كل ما وصلت إليه الأمم من علوم، ومعارف حضارية، وعلمية هي من نعم الله سبحانه وتعالى، ومما سخره لعباده، وأن هذه العلوم، والمعارف تترك أثراً كبيراً في مجال معرفة الله، وتذكر نعمه، وطاعته، والخشية منه بالشكل الذي يشكل ضماناً في تسيير كل هذه العلوم في المجال الذي يريده الله سبحانه وتعالى، وفي عمارة الأرض وإصلاحها، ولا يشكل أي ضرر، أو شر، وخطر على البشرية، والحياة.
- 9- يُعدُّ القرآن الكريم منهجاً للحياة، فقد تضمنت آياته من البيئات، والهدى الشيء الواسع، والكثير الذي يغطي الحياة البشرية بكُلِّها، ويغطي السماوات والأرض، ولا حدود لسعته، فهو بحر لا يدرك قعره، وبركاته في كل جوانب ومجالات الحياة.

توصيات الدراسة :

- 1- ضرورة مراجعة الواقع، ودراسته، والدعوة إلى التفتيش الدقيق في البيئة الداخلية الإسلامية، ورفض كل معتقد باطل، وثقافة مغلوبة جاءت من خارج القرآن الكريم .
- 2- تبني المشروع الإلهي؛ لأنه يغطي كل جوانب الحياة، وترك المشاريع البشرية القاصرة .
- 3- إنشاء مركز أبحاث ودراسات تتبنى الدراسات الخاصة بالتنمية المستدامة وفق رؤية وثقافة القرآن الكريم.

قائمة المراجع:

أولاً: المصادر الأساسية:

- 1- القرآن الكريم
- 2- سلسلة دروس من هدي القرآن، للشهيد القائد حسين بدر الدين الحوثي (رضوان الله عليه)، اليمن.

ثانيًا: المراجع:

- 1- ابن منظور، لسان العرب، ج14، دار إحياء التراث، بيروت، 1999م.
- 2- الآن دونو، نظام التفاهة، تر: مشاعل الهاجري، دار سؤال للنشر، ط1، بيروت، 2020.
- 3- خالد محمد الشامي، كيف نقرأ التاريخ، الهيئة العامة للكتاب والنشر والتوزيع، صنعاء، 2017م.
- 4- رعد سامي عبدالرزاق، العولمة والتنمية البشرية المستدامة في الوطن العربي، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم السياسية، جامعة النهريين، 2006م.
- 5- الطراح علي وسنو غسان، التّميّة البشريّة في المجتمعات النّاميّة والمتحوّلة، دار التّهضة العربيّة، د.ط. لبنان: 2004 م.
- 6- عصام راجح، الوسطية ومظاهرها في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة القرآن الكريم، السودان، 2016م.
- 7- علام سعد طه، التّميّة والدّولة، دار طيبة، ط2، القاهرة: 2004م.
- 8- علي الطلاي، الوسطية في القرآن الكريم، مكتبة الصحابة، الإمارات، ط1، 2000م.
- 9- فاضل الشرقي، قراءة في المشروع القرآني للشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية اليمني، ط2، 2018م.
- 10- لي أوبرين، المنظمات اليهودية الأمريكية ونشاطاتها في دعم إسرائيل، مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- 11- ولد السالم، دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، بدون ت.

الملخص العربي

تشكل ظاهرة الطلاق في أي مجتمع خطراً يهدد استقراره وتقدمه ، فالمجتمع العراقي عامه ومحافظة ذي قار بوجه خاص ليس بمنأى عن هذه الظواهر السلبية ، والطلاق ينعكس سلباً على أفراد المجتمع ومؤسساته ، مما يؤدي إلى التفكك وعدم الاستقرار ، ومن ثم تنتشر الانحرافات السلوكية بين أفرادها ويزداد معدل الجريمة ، والطلاق من الأمور المنبوذة لدى المجتمعات على مختلف دياناتها وثقافتها ، لأنه يعد من أخطر الأمراض الاجتماعية ، ويحمل في طياته كثيراً من الأضرار التي تخيب آمال المجتمعات وتقدمها .

أن ظاهرة الطلاق تعد هدماً لنسيج المجتمع بشكل عام وللأسرة بشكل خاص ، وفي ظل هذه المؤشرات التي تشير إلى ارتفاع معدلات هذه الظاهرة لسكان المحافظة، يمكن أن يرجع إلى التغيرات التي شهدتها المحافظة بصورة خاصة من خلال تغير الظروف المادية والمعنوية وتغير الحياة العصرية للسكان ، حيث العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والصحية وغيرها من العوامل التي تؤثر في هدم ذلك النسيج الاجتماعي من خلال ارتفاع معدلات الطلاق فيه .

كلمات مفتاحية.. الطلاق.. ذي قار .. الظواهر السلبية...المجتمع العراقي .. النسيج الاجتماعي

Abstract

The phenomenon of divorce in any society poses a threat to its stability and progress, as the Iraqi society in general and the Dhi Qar Governorate in particular is not immune to these negative phenomena, and divorce reflects negatively on the members of society and its institutions, which leads to disintegration and instability, and then the behavioral deviations spread among its members and the rate of Crime and divorce are among the forbidden matters in societies of various religions and cultures, because it is considered one of the most dangerous social diseases, and it carries with it many damages that disappoint the hopes and progress of societies.

..

That the phenomenon of divorce is a demolition of the fabric of society in general and the family in particular, and in light of these indicators that indicate the high rates of this phenomenon for the residents of the governorate, it can be attributed to the changes that the governorate has witnessed in particular through the change of material and moral conditions and the change of modern life of the population, where the factors Social,

economic, cultural, health and other factors that affect the demolition of that social fabric

through its high divorce rates.

المقدمة

تشكل ظاهره الطلاق في أي مجتمع خطراً يهدد استقراره وتقدمه , فالمجتمع العراقي عامه ومحافظة ذي قار

بوجه خاص ليس بمنأى عن هذه الظواهر السلبية , والطلاق ينعكس سلباً على أفراد المجتمع ومؤسساته ,

مما يؤدي إلى التفكك وعدم الاستقرار , ومن ثم تنتشر الانحرافات السلوكية بين أفرادها ويزداد معدل الجريمة

, والطلاق من الأمور المنبوذة لدى المجتمعات على مختلف دياناتها وثقافتها , لأنه يعد من أخطر الأمراض

الاجتماعية , ويحمل في طياته كثيراً من الأضرار التي تخيب آمال المجتمعات وتقدمها.

أن ظاهره الطلاق تعد هدماً لنسيج المجتمع بشكل عام وللأسرة بشكل خاص , وفي ظل هذه المؤشرات التي

تشير إلى ارتفاع معدلات هذه الظاهرة لسكان المحافظة, يمكن أن يرجع إلى التغيرات التي شهدتها المحافظة

بصورة خاصة من خلال تغير الظروف المادية والمعنوية وتغير الحياة العصرية للسكان , حيث العوامل

الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والصحية وغيرها من العوامل التي تؤثر في هدم ذلك النسيج الاجتماعي من خلال ارتفاع معدلات الطلاق فيه.

المبحث الأول : تعريف الطلاق وأحكامه في الإسلام.

أولاً : مفهوم الطلاق.

الطلاق في اللغة مأخوذ من الإطلاق وهو الإرسال والترك , فنقول أطلقنا الأسير أي أطلقنا قيد وأرسلته ,

أما مفهومه في الشرع فالطلاق : حل رابطة الزواج , وأنهاء العلاقة الزوجية , ويعني أيضاً الفراق والانفصال

بين الزوجين وفقاً لشروط واحكام شرعية.⁽ⁱ⁾

لماذا أباح الله الطلاق ؟

[وأن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم]⁽ⁱⁱ⁾, هذا بيان واضح لمشروعية الطلاق , إذ أباح الشرع الطلاق

لكونه دين يشرع للحياة الواقعية التي يضطرب فيها الأنسان , فكثيراً ما تحدث الاضطرابات فتقتضي ضرورة

الطلاق من أجل الاستقرار الاجتماعي , فعلى الرغم من أباحة الطلاق فإن الشرع قيده بقيود وتكفل بتحقيق

مصالح الأسرة نفسها من أجل تحقيق التوازن ولذلك يقول رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) : ((أبغض

الحلال عند الله الطلاق)) , وقال أيضاً (صلى الله عليه واله وسلم) ((تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز

له عرش الرحمن)).⁽ⁱⁱⁱ⁾

لذا قرر الشرع بأنه لا يصلح اللجوء للطلاق لأسباب يمكن علاجها أو لأمر قد تتغير في المستقبل ,

وألقي بهذه المهمة على عاتق الزوج باعتباره القيم والمسؤول في الأسرة أن يحل المشاكل الناجمة بينه وبين

زوجته بالتتي هي أحسن , إذ يتوجب عليه أن يسلك كل الطرق التي تحافظ على العلاقة الزوجية , وإذا

استفحلت الأمور واستعصت المشاكل على الحل الداخلي بحيث خيف وقوع الشقاق بينهما , ينبغي حسب

التوجيه القرآني اللجوء إلى التحاكم إلى أقارب الطرفين قبل التفكير في الطلاق , فبعث أهل الزوج حكماً

منهم , وأهل الزوجة حكماً منهم , لكي يتدارسا أسباب الخلاف ويجاد وسائل للحل والوئام , وإذا توصلوا إلى

حل يرضي الطرفين حاولا تطبيقه , وبالطبع إذا كان الزوجان يرغبان في الإبقاء على كيان الأسرة وعدم

الشقاق فأنهما سيقبلان بالحل , وتعود الأمور إلى طبيعتها^(iv) , قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : [وإن

خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان

عليماً خبيراً^(v).

فليس من المحبذ في الشريعة الإسلامية اللجوء إلى الطلاق دون تريث , ودون سلوك الطرق الأخرى

لتجنب الوقوع فيما تعتبره الأحاديث الشريفة ابغض الحلال^(vi).

ثانياً : أنواع الطلاق.

1. الطلاق البائن : ما ليس للزوج بعده الرجوع إلى الزوجة إلا بعقد جديد , كطلاق الزوجة قبل الدخول

بها. ومن أقسام الطلاق البائن أيضاً ما يسمى بالطلاق الخلعي ويقصد به الطلاق بفدية من الزوجة

الكارهة لزوجها إلى حد يحملها على تهديد زوجها بعدم رعاية حقوقه الزوجية , وعدم إقامة حدود

الله فيه , ولكن من دون أن يكرهها هو , فإذا قالت الزوجة لزوجها ((بذلت لك مهري على أن

تخلعني)) , وقال الزوج بعد ذلك بلغة عربية صحيحة وبحضور شاهدين عدلين ((زوجتي ويذكر

أسمها . خالعتها على ما بذلت)) , فإذا قال ذلك فقد طلقها طلاقاً خلعياً. (vii)

2. الطلاق الرجعي : ما كان للزوج الحق في أرجاع زوجته المطلقة إليه ما دامت في العدة, من دون

عقد جديد , ولا مهر جديد. (viii)

أضافة إلى ذلك أن هناك أنواع أخرى من الطلاق هي : أ. الطلاق الصريح , ب. طلاق الكتابة , ج.

طلاق التخيير , د. طلاق التملك , هـ. طلاق الوكالة , و. طلاق الخلع , ن. الطلاق الإلكتروني. (ix)

ثالثاً : أسباب الطلاق.

تتعدد أسباب الطلاق ولا يمكن حصرها فهي تختلف باختلاف الظروف البيئية والنفسية والاجتماعية

ويمكن التعرض لأهمها فيما يلي : (x)

1. عدم الوئام بين الزوجين بأن لا تحصل محبة احدهما للآخر.

2. وقوع الزوج في المعاصي والموبقات وتعاطي المخدرات أو المسكرات.
3. انهيار التواصل : لا تخلو علاقة زوجية واحدة من الخلافات والمشاكل , لكن التواصل بين الزوجين كفيل بالقضاء عليها قبل أن تتفاقم. الكثير من الأزواج يصلون إلى درجة أنه لا يمكنهم الحديث مع الطرف الآخر , أن عدم وجود تواصل بين الزوجين ربما يؤدي إلى تأجيل هذه الخلافات , لكن خلافاً والوصول إلى مرحلة الصراع يعني اقترابهما من حافة انهيار العلاقة الزوجية.
4. الوازع الديني : هو غياب القيم الأخلاقية من حياة الفرد في الأسرة والمجتمع وذلك نتيجة سريان الثقافة الغربية ولانعدام التوجيه الإسلامي الصحيح , إذ أن فقدان الوازع الديني لأي من الزوجين يجعلهما يتساهلان في مسألة الطلاق لأنهما لا يخشيان من الله , ومما لاشك فيه أن كون أحد الزوجين أقل من الآخر في الالتزام الديني وأضعف تمسكاً بالإسلام فكراً أو ممارسة سيعمل على أحداث الفجوة في الأسرة , فرفض الزوجة إطاعة زوجها في الامور الدينية أو الأخلاقية أو الأسرية أو الالتزام بأوامر الله وقيم الدين وعراف المجتمع , يكره الزوج زوجته فيقدم على طلاقها.

5. الأسباب الاقتصادية : مثل الفقر الشديد والحاجة وقلة الدخل ومشكلة التبذير وعدم قيام الزوج

بواجب الصرف على المنزل , فضلاً عن ذلك سكن الزوجين في منزل أسرة الزوج وبالعكس.^(xi)

6. الأسباب الاجتماعية : مثل ضعف الشخصية في الزوج أو الزوجة الأمر الذي يؤدي إلى تدخل

أهل الزوج أو الزوجة في الحياة الأسرية وهذه الحالة تعد من الأمور المستفحلة في حياتنا الاجتماعية

فمن مظاهر ضعف شخصية الزوج خضوعه لأمه بدافع حبها ولكن هذا الخضوع قد يحصل إلى

حد التأثير على آراء الزوج واتجاهاته ومسؤوليته وسلوكه نحو زوجته فلا يستطيع أن يوازن بين حق

الأم وحق الزوجة بصورة عادلة ومن ثم يظهر متردداً عاجزاً عن الحسم واتخاذ القرارات المناسبة

في الوقت الملائم , أو أن تكون الزوجة هي شديدة الإعجاب والتعلق بأهلها أو أمها فتؤثر رضاهم

وطاعتهم على الزوج ولو بغير حق وفي كل صغيرة أو كبيرة وسمح بتدخلهم في شؤونهم الزوجية

وتهمل واجبات الزوج والبيت , وعندما تحدث مشكله بين الزوج والزوجة تسارع بأخبار أهلها مما

يحدث الخلاف بين الزوجين.^(xii)

7. الخيانة الزوجية : أحساس الزوج والزوجة بالخيانة هي أكبر معارك تفكك الأسرة ومن الممارسات

التي تسبب بواعث الطلاق الأسري كأن تكون للزوجة علاقات خارج نطاق الحياة الزوجية أو يكون

للزوج أيضاً علاقات وإن كان في منظور شرعي علاقات الزوج المشروعة بالأخريات.

8. الأسباب الصحية : مثل مرض الزوج المزمن المعدي أو بالعكس وعدم قدرة الزوجة على الانجاب

أو بالعكس.

9. تسرب الملل : أن الملل احد أهم أسباب الطلاق , أن يشعر الزوجان بعد سنوات من الزواج بأن

الحياة الزوجية فقدت بهجتها وأثارها , وإن شرارة الحب بينهما قد أطفئت , فالكثير من الأزواج

يتخلصون من هذا الملل عن طريق الحل الصعب الطلاق.

10. الغيرة : قد تكون الغيرة مطلوبة احياناً , فهي تضفي بعض التوابل على الحياة الزوجية لكن عندما

تزيد عن حدها ويبالغ فيها تتحول إلى عامل يهدد الحياة الزوجية , الغيرة تجاه كل حركة أو لفته

أو مكالمة هاتف , وهنا تحولت الغيرة إلى شك واصبحت مدمره للحياة الزوجية وأن تمارى فيها

الزوجان فأنها تؤدي إلى الطلاق.(xiii)

11. العنف الجسدي والعاطفي : أخطر ما يمكن أن يضرب العلاقة الزوجية في مقتل هو الإيذاء

الجسدي (الخشونة والعنف والضرب) , وكذلك الإيذاء العاطفي (اللامبالاة والسخرية والاهانة

والشتائم) , اللجوء إلى الإيذاء يعني أن رصيد الحب قد نفذ من الحياة الزوجية ويعني أيضاً أن

صبر الزوجين نفذ أيضاً فبدلاً من الحوار بالكلمات تستخدم الشتائم ... اي حياة زوجية يمكن أن

تستمر في هذا المناخ؟

12. تغير شخصية المرأة بعد الزواج , وخاصة عند حدوث حمل سريع وما يصحبه من تغيرات

فسيولوجية قد لا يدركها الرجل حديث العهد بالزواج ؛ مما ينعكس سلباً على فهمه لزوجته وظروفها

وقد يؤدي إلى سوء التوافق والطلاق.

13. تعدد الزوجات في حال أن الزوج لا يستطيع الوفاء بالتزامات كل الزوجات.

14. الأعتراب ومشاكله والتي تتمثل في بعد الأزواج عن زوجاتهم وأبنائهم وتراكم مشاكل الابناء على

عائق الزوجة.(xiv).

المبحث الثاني : ظاهرة الطلاق في محافظة ذي قار (2004-2010).

أولاً : التوزيع الجغرافي لحالات الطلاق في محافظة ذي قار .

أن دراسة توزيع ظاهرة الطلاق على مستوى محافظة ذي قار وعلى مستوى الوحدات الادارية وعلى

مستوى الحظر والريف سيعطي للدراسة أهمية أكثر من خلال معرفة حجم التباين لظاهرة الطلاق , ذلك

الحجم الذي يتأثر متأثراً مباشراً بالتركيب النوعي والعمرى للسكان , وبالنظم الاجتماعية السائدة والظروف

الاقتصادية التي يمر بها المجتمع , لهذا تعد حالات الطلاق احدى الظواهر السكانية المعقدة والمتغيرة من

وقت إلى آخر ومن مكان إلى آخر , كدليل على تغير بنى المجتمع الاقتصادي وتبدل القيم الاجتماعية

والثقافية.(xv)

وقد تمثلت منطقة الدراسة (Area Study) بمحافظة ذي قار التي تمثل احدى محافظات جنوبي العراق

, وتتكون المحافظة من تسع عشرة وحدة ادارية ما بين ناحية وقضاء.(xvi)

يلاحظ من الجدول رقم (1) التباين الواضح في حالات الطلاق المسجلة في محافظة ذي قار خلال

المدة (2010-2004) , وقد تراوحت تلك الحالات بين (222) حالة طلاق عام 2004 وبنسبة 10,2%

وهذه تمثل الحد الأدنى , و(432) حالة طلاق عام 2009 وبنسبة 19,8% لتمثل الحد الأعلى , وتراوحت

بقية الأعوام بين هاتين القيمتين , أخذين بنظر الاعتبار إن حالات الطلاق شهدت انخفاضاً ملحوظاً عام

2010 حيث بلغت (339) حالة طلاق وبنسبة 15,6% ويفارق (93) حالة طلاق عن العام الذي سبقتها

, وعلى العموم فإن عدد حالات الطلاق بلغت المدة المذكورة (2177) حالة طلاق مسجلة في محافظة ذي

قار بوحداتها الإدارية المختلفة. (xvii)

أما حالات الزواج المسجلة في محافظة ذي قار خلال المدة (2010-2004) , فقد تراوحت تلك

الحالات بين (8455) حالة زواج عام 2007 وبنسبة 9,5% وهذه تمثل الحد الأدنى , و(14606) حالة

زواج عام 2010 وبنسبة 16,41% وتمثل الحد الأعلى , وتتراوح بقية الأعوام بين هاتين القيمتين , أخذين

بنظر الاعتبار إن حالات الزواج أخذت بالتزايد خاصة عند الأعوام (2008 و2009 و2010) بالمقارنة

مع الأعوام الأخرى التي تسبق هذه الأعوام الثلاثة من مجموع حالات الزواج البالغة (89266) حالة زواج

لعموم المحافظة. (xviii)

ومن الجدول رقم (2) يلاحظ التباين في حالات الطلاق المسجلة على المستوى البيئي (حضر , ريف)

للمحافظة ضمن المدة (2010-2004) ويبدو واضحاً تفوق حالات الطلاق المسجلة في حضر المحافظة

عن نظيرتها في ريف المحافظة , فبعد أن كان عدد حالات الطلاق في حضر المحافظة (185) حالة

طلاق وبنسبة 83,3% عام 2004 , انخفضت تلك الحالات إلى (270) حالة طلاق عام 2010 وبنسبة

79,6%, وبالمقابل فإن حالات الطلاق في ريف المحافظة شهدت ارتفاعاً ملحوظاً خلال المدة المذكورة ,

فبعد أن كانت حالات الطلاق المسجلة في ريف المحافظة (37) حالة طلاق عام 2004 وبنسبة 16,7%

ارتفعت لتصل (69) حالة طلاق وبنسبة 20,4% عام 2010 , أخذين بنظر الاعتبار إن حالات الطلاق

المسجلة على مستوى الحضر والريف قد تراوحت بين (183) حالة طلاق في أديانها , و(346) حالة طلاق

في حدها الأعلى بالنسبة للحضر خلال المدة (2010-2004) , و(37) حالة طلاق في أديانها , و(86)

حالة طلاق في حدها الأعلى بالنسبة للريف. وفي عموم المدة الزمنية المحددة (2010-2004) قد تفوقت

حالات الطلاق المسجلة في حضر المحافظة لتشكل 81,2% من مجموع حالات الطلاق يناظرها 18,8%

في ريف المحافظة. (xix)

جدول رقم (1)

التوزيع النسبي لحالات الطلاق والزواج في محافظة ذي قار للمدة (2004-2010). (xx)

| الأعوام | حالات الطلاق | | حالات الزواج | |
|---------|--------------|----------------|--------------|----------------|
| | عدد الحالات | النسبة المئوية | عدد حالات | النسبة المئوية |
| 2004 | 222 | 10,2 | 13149 | 14,7 |
| 2005 | 230 | 10,6 | 12278 | 13,7 |
| 2006 | 276 | 12,7 | 12538 | 14 |
| 2007 | 336 | 15,4 | 8455 | 9,5 |
| 2008 | 342 | 15,7 | 13994 | 15,7 |

| | | | | |
|------|-------|------|------|---------------|
| 16 | 14246 | 19,8 | 432 | 2009 |
| 16,4 | 14606 | 15,6 | 339 | 2010 |
| %100 | 89266 | %100 | 2177 | المجموع الكلي |

جدول رقم (2)

التوزيع العددي والنسبي لحالات الطلاق في محافظة ذي قار وحسب البيئة للمدة (2004-2010).^(xxi)

| المجموع % | حالات الزواج | | حالات الطلاق | | الأعوام |
|--------------|----------------|-----------|----------------|-------------|---------|
| | النسبة المئوية | عدد حالات | النسبة المئوية | عدد الحالات | |
| 100 | ,16 | 37 | 83,3 | 185 | 2004 |
| 100 | 20,4 | 47 | 79,6 | 183 | 2005 |
| 100 | 16,7 | 46 | 83,3 | 230 | 2006 |
| 100 | 17,3 | 58 | 82,7 | 278 | 2007 |
| 100 | 19,3 | 66 | 80,7 | 276 | 2008 |
| 100 | 19,9 | 86 | 80,1 | 346 | 2009 |

| | | | | | |
|-----|------|-----|------|------|---------------|
| 100 | 20,4 | 69 | 79,6 | 270 | 2010 |
| 100 | 18,8 | 409 | 81,2 | 1768 | المجموع الكلي |

أن ظاهرة الطلاق تعد هدماً للنسيج المجتمعي بشكل عام وللأسرة بشكل خاص , وفي ظل هذه المؤشرات التي

تشير إلى ارتفاع معدلات هذه الظاهرة لسكان المحافظة يمكن إن يرجع ذلك إلى التغيرات التي شهدتها

المحافظة بصورة خاصة والعراق بصورة عامة من خلال تغير الظروف المادية والمعنوية وتغير الحياة

العصرية للسكان , حيث عوامل اجتماعية واقتصادية وثقافية وعلمية وصحية أو نفسيه وغيرها من العوامل

التي تؤثر بصورة مباشرة أو غير مباشرة في هدم ذلك النسيج الاجتماعي من خلال ارتفاع معدلات الطلاق

فيه. (xxii)

ثانياً : التوزيع الجغرافي لحالات الطلاق حسب الوحدات الادارية.

لقد احتل مركز قضاء الناصرية المرتبة الأولى في عدد حالات الطلاق المسجلة خلال المدة (2004-

2010) , مع التباين في عدد تلك الحالات خلال المدة المذكورة فبعد أن كانت حالات الطلاق المسجلة في

هذه الوحدة الادارية (34) حالة طلاق عام 2004 وصلت إلى (67) حالة طلاق عام 2007 لتبلغ (111)

حالة طلاق عند العام 2010 , وأحتل المرتبة الثانية مركز قضاء سوق الشيوخ لعام 2004 وبواقع (34) حالة طلاق , ليحتل مركز قضاء الشرطة المرتبة الثانية لبقية الاعوام الأخرى ضمن المدى (2005-2010) حيث بلغت حالات الطلاق فيها (50 و43 و64 و79 و94 و65) على التوالي للأعوام (2005 و2006 و2007 و2008 و2009 و2010). وتمثل ناحية الدواية أقل مرتبة في حالات الطلاق بواقع حوالي طلاق لعام 2004 , وناحية الحمّار للأعوام الأخرى المتبقية ولمدة (2005-2010) لكون هذه الناحية لم تسجل فيها حالات طلاق ضمن هذه المدة سوى حالتين موزعة على عامين 2008 و2009 ولكل منهما حالة واحدة.(xxiii).

ثالثاً : التوصيات والحلول لمشكلات الطلاق.

1. نسبة لوجود علاقة نزاعيه بين المرأة والرجل أوصي بأنشاء مراكز للإرشاد النفسي , الزواجي ,

للمقدمين على الزواج وفي مراحل الزواج المختلفة.

2. تسهيل فرص التعارف بين الشباب , قبل الزواج وفق الضوابط التشريعية والاجتماعية.

3. توعية أفراد الأسرة عن كيفية التعامل مع أبناءهم وعدم التدخل في شؤون الأسرة.

4. تسهيل اجراءات الزواج , وعدم ارهاق الأزواج الحديثين بالطلبات التي ترهقهم مادياً وتؤدي إلى

أزمات اقتصادية.

5. أن يكون أختيار الأزواج حسب الكفاءة.

6. ينصح الأزواج والزوجات الاهتمام بمظهرهم وزينتهم بعد الزواج.

7. حل المشكلات الصغيرة قبل أن تستغل بين الأزواج الصراحة والشفافية في التعامل.

8. عقد الندوات و الحوارات و اللقاءات للمقبلين على الزواج لتعريفهم بأهمية الحياة الزوجية و دور

الاسرة في تربية الاولاد .

9. اهتمام وسائل الاعلام المقروءة و المكتوبة و المرئية بتثقيف المقبلين على الزواج حول واجبات

الزوجين و حقوقهما .

10. تضمين المناهج الدراسية مواد تتعلق بالأسرة بتكوينها وواجباتها و رسالتها بما يتناسب مع

كل مرحلة دراسية او عمرية و خصوصا لطلبة الجامعيين.

11. اطلاع الخاطبين على الحقوق و الواجبات الزوجية .

12. انشاء جمعيات لتقديم النصح و الارشاد للأهالي في حالة وقوع مشاكل .
13. اجراء البحوث و الدراسات في هذا المجال
14. تعاون مختلف القطاعات الرمية و الخاصة لدراسة ظاهرة الطلاق لوضع سبل علاجها .
15. وضع برامج التعليم تدرس فيها مواد تعالج جوانب معينة في العلاقات الزوجية و تقوم بتدريس المقبلين على الزواج على كيفية تربية الاطفال

الهوامش

(i) جلال علي الجزائري وبسام هلال الحربي , الفئات الخاصة وطرق إرشادهم , دار الحامد للنشر , الأردن , 2010 , ص151.

(ii) سورة البقرة : الآية (22).

(iii) منة محمد سليمان , الطلاق بين الاباحة والصبر والخطر والغدر , عالم الكتب , القاهرة , 2012 , ص120.

(iv) الطلاق وأثاره على المجتمع العراقي :

Law.qu.edu

(v) سورة النساء : الآية 35.

(vi) عادل صادق , الطلاق ليس حلاً , مطبعة دار أخبار اليوم , القاهرة , 1993 , ص9.

(vii) أيناكس محمد راضي , انواع الطلاق :

www.uobabylon.edu.iq>uobcoleges

(viii) الموسوعة العربية الشاملة :

<https://www.mosoah.om>

(ix) المصدر نفسه.

(x) أميرة أنور أحمد الامين , مجلة الأمن والحياة , العدد 44 / محرم 1432هـ/2011م , جامعة نايف العربية للعلوم الامنية , ص56.

(xi) اميرة أحمد حسن قرشي ومحمد أحمد امين , الطلاق وأثاره النفسية , جامعة نبالا , (د.ت) , ص13.

(xii) مقابلة شخصية مع القاضي حسن رحيمه (رئيس المحكمة الشرعية 1979-2010) , بتاريخ 2019/6/22.

(xiii) أميرة أنور أحمد الامين , المصدر السابق , ص57-58.

(xiv) مقابلة شخصية مع القاضي حسن رحيمه (رئيس المحكمة الشرعية 1979-2010) , بتاريخ 2019/6/22.

(xv) لطيف هاشم كزار الطائي ومجيد علي شناوه الموسوي , التوزيع الجغرافي لحالات الطلاق المسجله في محافظات ذي قار للمدة 200-2010 , مجلة كلية التربية , العدد 12 , بتاريخ 2012 , جامعة واسط , ص379.

(xvi) المصدر نفسه , ص319.

(xvii) المصدر نفسه , ص320.

(xviii) المصدر نفسه , ص320-321.

(xix) المصدر نفسه , ص321.

(xx) لطيف هاشم كزار الطائي ومجيد علي شناوه الموسوي , المصدر السابق , ص321.

(xxi) المصدر نفسه , ص322.

(xxii) المصدر نفسه , ص322.

(xxiii) المصدر نفسه , ص322-323.

المصادر :

أولاً / الكتب العربية :

1. اميرة أحمد حسن قرشي ومحمد أحمد امين , الطلاق وآثاره النفسية , جامعة نبالا , (د.ت).

2. جلال علي الجزائري وبسام هلال الحربي , الفئات الخاصة وطرق أرشادهم , دار الحامد للنشر , الأردن , 2010.

3. سناء محمد سليمان , الطلاق بين الاباحة والصبر والخطر والغدر , عالم الكتب , القاهرة , 2012.

4. عادل صادق , الطلاق ليس حلاً , مطبعة دار أخبار اليوم , القاهرة , 1993.

ثانياً / المقابلات الشخصية :

1. مقابلة شخصية مع القاضي حسن رحيمه (رئيس المحكمة الشرعية 1979-2010) , بتاريخ 2019/6/22.

ثالثاً / البحوث المنشورة :

1. أميرة أنور أحمد الامين , مجلة الأمن والحياة , العدد 44 / محرم 1432هـ/2011م , جامعة نايف العربية للعلوم الامنية.

2. لطيف هاشم كزار الطائي ومجيد علي شناوه الموسوي , التوزيع الجغرافي لحالات الطلاق المسجله في محافظات ذي قار للمدة 200-2010 , مجلة كلية التربية , العدد 12 , بتاريخ 2012 , جامعة واسط.

رابعاً / المواقع المنشورة على الانترنت :

1. أيناكس محمد راضي , انواع الطلاق :

www.uobabylon.edu.iq>uobcoleges

2. الطلاق وآثاره على المجتمع العراقي :

Law.qu.edu

3. الموسوعة العربية الشاملة :

<https://www.mosoah.om>